



نبي الله يعقوب

عَلَيْهِ السَّلَامُ

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

[٧١].

أما بعد، فلقد خلق الله ﷻ الخلق، واختار منهم الأنبياء والمرسلين وجعلهم صفوةً على الخلق أجمعين، ذلك أن الله ﷻ أرسل رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليكون هؤلاء الأنبياء قدوةً للصالحين والسالكين طريق إياك نعبد وإياك نستعين، والذي يقود إلى جنات النعيم بإذن الله رب العالمين.

ولذلك ربنا ﷺ اختار هؤلاء الأنبياء من بين الناس لمثل هذه الغاية النبيلة العظيمة، حتى يقتدي بهم الناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَيْتِنَا يُوْقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

والغرض من ذلك أن يقتدي بهم الناس لأنهم الصفوة من هذه الخليقة.

قال ﷺ: ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

نعم عباد الله، إنهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومن جملة هؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله ﷻ في القرآن وأخذت حياته مساحةً من كتاب رب العالمين هو يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الكريم ابن الكريم ابن الكريم، نعم إنه يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام^(١).

الذي اختاره الله ﷻ على علم، ورباه على علم، قال ﷻ عن يعقوب: ﴿وإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨].

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٣٩٠) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الكَرِيمُ، ابْنُ الْكَرِيمِ، ابْنُ الْكَرِيمِ، ابْنُ الْكَرِيمِ، ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

وأخرج أيضًا (٤٦٨٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسَأَلُونِي» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا».

يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء ذكره في القرآن كثيرًا، لكن قصته مع أولاده عَلَيْهِ السَّلَامُ هي التي جاءت في كتاب الله ﷻ بشكل واسع ومفصل، ذلك أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ رُزق أولادًا وكانوا صالحين كلهم في نهاية المطاف، إلا أن أبنائه مارسوا ممارسات خاطئة مع أخيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في أول حياتهم.

لكن صبر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وتربيته الناجحة لأولاده جعلت النهايات ناجحة بإذن الله رب العالمين، نعم يقول ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

يعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنما هو شعلة من قبس آباءه وأجداده، ينشر النور، وينثر الخير، ويدعو إلى الله رب العالمين، كبقية إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

أيها المسلمون: نقف في هذه الخطبة وقفات مع تربية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأولاده، حيث أن قصته مع أولاده اشتملت على جملة من القواعد التربوية، وعلى جملة من القواعد السلوكية التي يحتاجها كل والد في هذه الحياة، كذلك أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد وعظ أولاده، ونصحهم ووصاهم بالإيمان، وبالتوحيد، واليقين.

بل إنه غرسه في تراب تراثهم، حتى أصبحت شجرة إيمانهم باسقةً تراحم النجوم في عليائها.

ولذلك أول قضية ينبغي أن تأخذ بالاهتمام هي قضية زرع التوحيد، والإيمان، واليقين في القلوب.

يقول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبنيه: ﴿يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

نعم عباد الله، إنه أمرهم بالإسلام، أمرهم بالإيمان، أمرهم بالتوحيد، لأنه الدين الذي ارتضاه الله ﷺ لعباده ديناً.

قال سبحانه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ولم يكتفِ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بنصيحةٍ واحدةٍ، بل استغرق الأمر بالتوحيد والإسلام والإيمان حياته كلها، بل أراد أن يطمئن وهو في سياق الموت، يطمئن على أولاده، على إسلامهم، على إيمانهم، على يقينهم بالله ﷻ، وقد سجل ذلك القرآن.

يقول الله ﷻ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

يا لها من تربية، ويا له من إيمان، نعم عباد الله، إن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ غرس الإسلام والإيمان في تراب ترائب أولاده، إن قضية الإسلام والإيمان والتوحيد أخذت مساحةً كبيرةً من موعظة ونصيحة ووصية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تجاه أولاده عليهم جميعاً السلام.

وهذه قضية مهمة، يجب على كل والدٍ أن يجعلها نصب عينيه، وأن يجعلها أهم اهتماماته، وليست القضية فقط أن تقول عليكم بالتوحيد والإسلام والإيمان، بل يجب عليك أن تحافظ على توحيدهم، وإسلامهم

وإيمانهم من حيث الوجود، ومن حيث العدم، ذلك بأن توفر لهم كل أسباب الثبات على توحيد الله، وعلى هذا الدين العظيم.

وأن تحسم كل ما من شأنه أن يشوه وجه هذا الدين الصبيح، أو أن يخل بالإيمان، أو أن يزعزع الإسلام.

ثم انتقل يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصاياه لأولاده، وفي موعظته إياهم، ذلك أنه وصاهم بالتوكل على الله ﷻ في جميع أمورهم وشؤونهم.

يقول سبحانه وتعالى عن يعقوب: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

الله أكبر يا لها من وصية يحتاجها كل ولد في هذه الحياة، حينما يسمعها من والده يوصيهم بالتوكل على الله ﷻ حتى لا يصاب الولد بالإحباط، ولا ينزع إلى الانهزامية في حياته عند أول جولة من جولات معركة هذه الحياة.

﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

نعم عباد الله، إنها قضية التوكل على الله رب العالمين، التي تمثل العمود الفقري لقضية الإسلام والإيمان، ذلك أن التوكل على الله ﷻ في جميع الشئون والأمور علامة على صحة التوحيد والإيمان واليقين في صدر العبد.

قال ﷻ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤].

يقولها على لسان يعقوب: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤].

فوض أموره كلها إلى الله رب العالمين.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

أي كافيته سبحانه وتعالى.

ولذلك عباد الله، من أعظم الوصايا التي ينبغي، بل يجب أن تغرسونها في تراب ترائب أولادكم منذ الصغر؛ قضية التوكل على الله ﷻ، وتفويض الأمر إليه، لماذا لأن الله ﷻ هو الغني، وغناه مطلقٌ كاملٌ ﷻ، وأما العباد فلديهم فقر ذات، وفقر صفات لا يستغنون عن ربهم ﷻ طرفة عين، نعم لا يستغنون عن ربهم ﷻ طرفة عين.

يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

[فاطر: ١٥].

أنتم الفقراء إلى الله، فقر ذات، وفقر صفات، والله هو الغني الحميد، الغنى المطلق، والقوة المطلقة، والملك المطلق، جل الله وتقدس وتعالى (١).

أمرٌ آخرٌ، أن هذه الحياة وما فيها من التقلبات، إِدْبَارٌ وإِقْبَالٌ، ارتفاعٌ واطْجَاعٌ، هنا يرسم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأولاده طريقاً آمناً بإذن الله ﷻ، حينما يعلقهم بالله سبحانه وتعالى.

ويفسر لهم ما يعترضهم في حياتهم تفسيراً صحيحاً، ويمنعهم من أن يسقطوا في هوة اليأس من روح الله ﷻ.

يقول سبحانه وتعالى عن يعقوب: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وصيةٌ تجعل النفوس تراحم النجوم في عليائها، رغبةً في الخير، وطموحاً إلى ما عند الله رب العالمين.

(١) ينظر: «شرح القصيدة النونية» لمحمد خليل هراس (٢ / ٨٠).

ولذلك نجد بعض الأولاد بمجرد تعطل أمرٍ من أمور حياتهم؛ ينكفئون على ذواتهم، ويتوقعون على أنفسهم، وينحازون إلى زاويةٍ من زوايا الفشل إياساً من روح الله.

أما الذي يزرع في أولاده التوكل على الله ﷻ، والثقة به سبحانه، وتفسير هذه العقبات، والمفاوز التي تعترض الإنسان في طريق حياته، يفسرها تفسيراً صحيحاً على أنها من قدر الله ﷻ.

هنا يأتي هذا الذي فوض أمره إلى الله، فيستقبل الآلام فيجعلها آمالاً، ويستثمر المصائب فيجعلها عنواناً على نجاحه، وترقيه في مدارج الكمال في أمور الدنيا، وفي أمور الدين.

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِتَهُ، لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

[يوسف: ٨٧].

وإن حياة يعقوب تمثل عنواناً لقضية رفض اليأس من روح الله ﷻ، حينما صبر صبراً عظيماً وقد فقد فلذة كبده -يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ- ومع ذلك كان يعيش أملاً طويلاً لا حدود له.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [يوسف: ٨٣].

نعم، ترجمة عملية واقعية، طبقها يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياته حينما رفض اليأس من روح الله، بل القضية تراكم تلك المآسي والمصائب عليه، حينما فقد يوسف، بعد حين تفاجأ بفقد ابنٍ آخر يمثل قطعةً منه، ومع ذلك لم ييأس من روح الله.

كثيرٌ من الفاشلين في أول جولةٍ من جولات حياتهم، في قضيةٍ دراسية، أو تجارية أو أسرية، أو اجتماعية، أو أي علاقةٍ من العلاقات، تجدهم يولون

على أديبارهم لا يلوون على شيء، يجرون أذيال الخيبة والفشل، آيسين من روح الله.

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ولذلك المسلم الذي يعلم بأن الله ﷻ قدر مقادير كل شيء، وأن الله ﷻ الحكمة البالغة، لا يُسأل ربنا عما يفعل، أن كثيراً من المصائب، وكثيراً من الأزمات نهاياتها طيبة بإذن الله ﷻ.

ولذلك يقول ربنا سبحانه في كتابه المنزل على نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويقول ﷻ: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وفقني الله وإياكم بإتباع الكتاب والسنة، وهداني وإياكم إلى طريق أنبياء الله ﷻ من الأنبياء والمرسلين، إنه خير مسؤل.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، ويا فوز المستغفرين، أستغفر الله.



الخطبة الثانية

الحمد لله، وكفى، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وعلى من بأثره اقتفى إلى يوم الحشر والمنتهى.

أما بعد، فإن المتأمل في سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يجد أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن منظرًا فقط، يعطي النصائح والتوجيهات، بل كان ينزل إلى واقع أولاده، حوارًا ونقاشًا وصبرًا ومحبةً واحترامًا ودفنًا، وما إلى غير ذلك من معاني الأبوة الصادقة.

فهذا هو يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يستمع إلى ابنه يوسف، وقد كان صغيرًا، فيقص ابنه عليه القصة، قصة الرؤيا فيقول: ﴿يَأْتِيَنِي رَأْيُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

هنا استبشر يعقوب بشارةً عظيمةً بهذه الرؤيا، ذلك أن مخايل يوسف منذ الصغر كانت نواطق بالحسنى، تشير إلى وراثته النبوة والكتاب، فما كان من يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن أحاط ابنه يوسف بسياج من النصيحة، لعلمه بعرق الحسد الذي مازال ينبض في صدور إخوته الباقين من الأم الثانية، فقال: ﴿بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

الله أكبر! إحاطةٌ عظيمة، تنبع منها كل معاني العطف والرحمة، والخوف على هذه الثمرة التي تشكل عقداً ثميناً ضمن عقدٍ نوره نوراني، نعم، إنهم الأنبياء الذين ورثوا النبوة والكتاب.

ولا يخفاكم ونحن نريد أن نطوي هذه القصة، ونركز على الأهم، حينما فعلوا فعلتهم بأخيهم يوسف.

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٦-١٧].

كان يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم يقيناً بكيدهم، وبمكرهم، وبارتكابهم جريمةً شنيعةً في حق يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

يا له من ثبات! ثبات لا يحسنه إلا الرجال الذين يمتلكون عقولهم، وعواطفهم، ولا يطيثون عند أول لحظةٍ من لحظات الاستفزاز.

قال: بل سولت لكم أنفسكم، جميع القرائن والدلالات تشير إلى جنايتهم وجريمتهم، ومع ذلك تمالك أعصابه، وسيطر على تصرفاته، وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

يا لها من تربية! لم يطش، ولم يضع أمام هذا الاستفزاز الكبار من أولاده، ولكنه قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

بعث رسالةً إلى أولاده أنهم لا يمكنهم بحال أن يخادعونه لأنه نبي الله ﷺ، ولكنه تضرع بالصبر، وبالتوكل على الله رب العالمين، أراد لملمة أسرته،

وهذا من العقل الراجح، فقد ولدًا، لكنه ليس عنده استعداد أن يفقد البقية، ولا شك بأن هذا لا يحسنه إلا أصحاب العقل الراجح.

وتستمر القصة والحياة، ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مازال يحدوه الأمل في أن يجمع الله ﷻ الشمل جميعًا، ومع كل هذا يخاف على بقية أولاده، حينما بعثهم إلى مصر ليقابلوا العزيز.

﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا ﴾

[يوسف: ٦٧].

يا لها من رحمة! يا له من عطف! خاف على أولاده من العين ومن الحسد، كما يقول كثير من أهل العلم من أهل التفسير.

﴿ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٦٨].

أمرهم بأن يتوزعوا وأن يتفرقوا على أبواب المدينة، لأنهم كانوا أهل جمال وحسن منظر، وبسطة في الجسم، فخشي عليهم يعقوب، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «العين حق»^(١)؛ خاف عليهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولذلك نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمرنا^(٢) بأن نعوذ أنفسنا وأولادنا بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ومن كل عين لامة، ومن كل شيطانٍ مرید^(١)، يحصن الإنسان نفسه وأولاده يخاف عليهم^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج البخاري (٣٣٧١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: " إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا

إن هذه الكلمة التي صدرت من يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تبعث رسالةً إلى أولاده أن هذا القلب المترعب في هذا الصدر يخاف عليكم، ويحنو ويعطف عليكم، ولا شك بأن الولد إذا لامست هذه الكلمات شغاف قلبه، وانتظمت بروحه؛ علم قدر والديه.

ولذلك عباد الله أكثروا من النصيحة لأولادكم، أكثروا من الوصية والعظة لهم ومهما كان صدودهم عنكم، فإن أمرًا كمطارق على رؤوسهم تخضعهم لكم، وتجعلهم يحبونكم قهرًا لا اختيارًا.

إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ غِيْنٍ لَأَمَّةٍ "

(١) أخرج مسلم (٢٧٠٨) عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ، تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَجِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ ".

(٢) أخرج أحمد في «مسنده» (١٥٤٦١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٦٠١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٨٤٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٤٠) عن أبي التَّيَّاحِ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَنْبِشٍ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ قَالَ: جَاءَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأُودِيَةِ، وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَرَعِبَ - قَالَ جَعْفَرٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: جَعَلَ يَتَأَخَّرُ - قَالَ: وَجَاءَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: «مَا أَقُولُ؟» قَالَ: " قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرًّا وَبَرًّا، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ "، فَطَفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ولما انكشفت القضية، وحصحص الحق، جاء إخوة يوسف إلى والدهم بعدما اعترفوا بالجناية، وبينوا فضل يوسف عليهم، جاءوا إلى هذا الشيخ، إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلبون منه أن يستغفر لهم ربهم، هنا لم ينتقم يعقوب من أولاده، ولم يقابلهم بكلامٍ غليظٍ خشن.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٧].

اعتراف لا يحتاج إلى ملامة، ولا إلى عزل.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٧-٩٨﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨].

قال العلماء يريد أن يكون استغفاره لهم رياءً.

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٨].

فاستغفر لأولاده، فغفر الله لهم، وقيل بأن الله ﷻ أورثهم النبوة أيضاً.

عباد الله، نقرأ كثيراً في سورة يوسف، لكننا نقرأ قراءة مجردة من خلال اضطراب اللسان في هذا الحنك، ولكننا لا نأخذ الدروس والعبر.

يقول بعض العلماء: قرأت سورة يوسف فاستخلصت منها ما يزيد على ألف فائدة.

فتدبروا كتاب الله عباد الله، تدبروه وتأملوه وفق المنهاج الشرعي السليم، الذي بينه لنا رسولنا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وصحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

واعتنوا بتربية أولادكم، وليس هناك أجمل ولا أفضل ولا أحسن من تربية الأنبياء لأولادهم، خذوها من كتاب الله، وخذوها من سنة رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

عباد الله، إن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته قدسه، وأيه بكم أيها المؤمنون فقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر أوطان المسلمين، ووفق اللهم إمامنا وولي أمرنا بتوفيقك، وأيده بتأييدك، اللهم انصر به دينك وأعز به كلمتك، واجعله ردةً للإسلام والمسلمين، ووفق اللهم جميع حكام الإمارات لما تحب وترضى، وخذ بنواصيهم للبر والتقوى، ووفق اللهم جميع المسلمين لرضاك، واجعل أعمالنا وأعمالهم في تقواك، وارزقنا يا ربنا جنتك إنك خير مسئول.

اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات، المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

وقوموا إلى صلاتكم يرحمني ويرحمكم الله.

فرحان بن عبدالعزيز